وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الانبار
كلية العلوم الاسلامية
قسم التفسير وعلوم القرآن

التفسير الموضوعي

المرحلة الرابعة

الاستاذ المساعد الدكتور
فاضل

2019-2020

التفسير الموضوعي

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونشهد ان لا الله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد: فان التفسير الموضوعي يعد من الاساليب المعاصرة في تفسير القران الكريم، فقد كثر في هذا الزمن، وصار له مناهج خاصة، والفت فيه ابحاث ورسائل كثيرة جدا، حتى لا يكاد يوجد موضوع قراني الا وكتب فيه كتاب علمي او رسالة او بحث علمي، وكذا سور القران جميعها ،فهو اسلوب نافع وجيد ولا سيما في علاج القضايا المعاصرة وذلك لبيان هدي القران فيها.

وحينما تشرفت بتدريس مقرر "التفسير الموضوعي" في كلية العلوم الاسلامية–قسم التفسير وعلوم القرآن رأيت الحاجة تتطلب جمع مادة علمية منهجية لهذا المقرر، فاستعنت بالله وجمعت هذه المادة النظرية مع الامثلة التي تخدم النص، فهي نافعة باذن الله لما فيها من ايجاز وتركيز على محاور الدراسة الموضوعية، وسألحق بها امثلة تطبيقية لكل نوع من انواع التفسير الموضوعي بأذن الله تعالى.

اسال الله ان ينفع به الكاتب والقارئ....

المقدمات:-

التفسير لغة: هو الكشف والبيان سواء أكان حسياً أم معنوياً، فمن الكشف الحسي يقال: ((فسرتُ عن ذراعي)) إذا كشفتُها، ومن الكشف المعنوي ((فسرتُ الكلام)) إذا وضحته وبينت المراد منه، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسنَ تفسيراً﴾ [الفرقان: ٣٣] أي: بياناً وتوضيحاً.

أما التفسير في الاصطلاح فقد اختلفت عبارات العلماء فيه، وقد أدخل الكثير من أهل العلم في تعريفاتهم للتفسير ما ليس منه.

ومن التعريفات التي ذُكرت تعريف أبي حيان (ت ٧٤٥هـ) إذ قال: ((التفسير: علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وتتمات ذلك))، وعندما نقرأ التعريف نلاحظ أنه أدخل (كيفية النطق بألفاظ القرآن) وهذا ليس فيه بيان، لذا فهذا لا يدخل في التفسير، فنرى أنه ابتعد عن المدلول اللغوي للفظ (التفسير)، ونرى أن هذا خلل.

لذا نرى أن أقرب تعريف للتفسير إلى الواقع هو ((بيان معاني القرآن الكريم)) ونظراً لكون معاني القرآن الكريم لا يحيط بها البشر رأى بعض العلماء زيادة قيد فقالوا في التعريف ((بيان معاني القرآن الكريم بقدر الطاقة البشرية))، وهذا ما نراه في تعريف التفسير.

أما التفسير الموضوعي فهو منهج تفسيري يقوم على جمع المفسر الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع واحد على مستوى القرآن كله أو مستوى مجموعة سور أو مستوى سورة واحدة ثم يؤلف منها موضوعاً واحداً أو يقوم بجمع الآيات التي تتضمن لفظة

معينة لغرض دراستها ومعرفة كيفية استعمال القرآن لهذه اللفظة والمعاني التي جاء بها في القرآن الكريم.

تعريف التفسير الموضوعي:

إن مصطلح التفسير الموضوعي مصطلح معاصر لم يستعمله المتقدمون، لذا لا نجد له ذكراً في كتبهم، ولذا نرى أن المعاصرين ذكروا له تعريفات متعددة، منها ما هو مختصر ومنها ما هو مطول، وبعضها اقتصر على نوع من أنواع التفسير الموضوعي

ومن هذه التعريفات:

١. تعريف د. مصطفى مسلم: ((التفسير الموضوعي: هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر)).

٢. ذكر د. مصطفى مسلم أن بعض الباحثين عرف التفسير الموضوعي بأنه ((جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً أو حكماً وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية)).

٣. تعريف د. سليمان الدقور: ((هو منهج تفسيري، يبحث في القرآن الكريم بقصد تركيب صورة قرآنية شاملة حول موضوع ما من الموضوعات التي طرقها القرآن الكريم، سواء أكان ذلك لإبرازها في ذاتها أم لمعالجتها في الواقع)).

٤. تعريف الدكتور سامر عبدالرحمن رشواني هو((الكشف الكلي عن مراد الله تعالى في قضية قرآنية بحسب الطاقة البشرية)) ونلاحظ أنه زاد قيداً مهماً في التعريف ((بحسب الطاقة البشرية)) للتأكيد على أن التفسير الموضوعي للقرآن ليس إلا اجتهاداً بشرياً قد يخطئ وقد يصيب، فلا يحق لأحد أن يدعي أن ما فهمه من كلام الله هو حقاً

مراد الله بل هو ما مكَّنه اجتهاده من فهمه، وهذا الفهم قد يطابق مراد الله تعالى وقد يخالفه ،وأرى أن هذا التعريف هو أقرب التعريفات إلى حقيقة التفسير الموضوعي.

نشأة التفسير الموضوعي:

لم يظهر هذا المصطلح "التفسير الموضوعي" إلا في القرن الرابع عشر الهجري، عندما قررت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر. إلا أن لَبِنات هذا اللون من التفسير وعناصره الأولى كانت موجودة منذ عصر التنزيل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإن تتبع الآيات التي تناولت قضية ما والجمع بين دلالاتها وتفسير بعضها لبعض، مما أطلق عليه العلماء فيما بعد بتفسير القرآن بالقرآن، كان معروفًا في الصدر الأول، وقد لجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه عندما سئل عن تفسير بعض الآيات الكريمة:

– روى الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: "إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم} [لقمان: ١٣] ، إنما هو الشرك".

– روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر مفاتح الغيب في قوله تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ} [الأنعام: ٥٩] فقال: "مفاتح الغيب خمس: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي

نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٤] ".

– ومن هذا القبيل ما كان يلجأ إليه الصحابة رضوان الله عليهم من الجمع بين الآيات القرآنية التي يظن بها بعضهم التعارض، كما روى البخاري قال: وقال المنهال عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما إني لأجد في القرآن أشياء تختلف علي، قال: {فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ} ، {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} ، {وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} ، {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} فقد كتموا في هذه الآية، وقال تعالى: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} فذكر خلق السماء قبل الأرض، ثم قال تعالى: {قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ} إلى قوله: {طَائِعِين} فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء. وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحى الأرض ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله تعالى: {دَحَاهَا}.

وقد وضع العلماء بعد ذلك قاعدة في أصول التفسير بضرورة العودة إلى القرآن الكريم نفسه لمعرفة تفسير آية ما، فما أجمل في مكان فصل في مكان آخر، وما أطلق في سورة مقيد في سورة أخرى. يقول ابن تيمية: "إن أصح الطرق في ذلك –أي في تفسير القرآن– أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر".

ومن أبرز تلك الأمثلة قوله تعالى في سورة النحل: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ} [إبراهيم: ١١٨] ، فقد أفادت الآية الكريمة أن ما حرم على اليهود قد قصه الله سبحانه وتعالى على نبيه، وبالرجوع إلى الآية التي ورد فيها ذكر

المحرمات عليهم، نجد أن آية الأنعام قد فصلت هذا الإجمال وأزالت ذاك الإبهام في قوله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [الأنعام: ١٤٦] .

وكذلك ما يتعلق بالمحرمات من بهيمة الأنعام على هذه الأمة نجد في ذلك عدة آيات:

كقوله تعالى: {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} [المائدة: ١] .

وقد جاء تفصيل هذه المحرمات في عدة آيات كقوله تعالى:

{قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} [الأنعام: ١٤٥] .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ، إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ} [البقرة: ١٧٢، ١٧٣] .

وقوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ} [المائدة: ٣] .

وقد جمع الفقهاء هذه الآيات ذات الصلة بموضوع واحد في كتبهم الفقهية فجمعوا ما يتعلق بالوضوء والتيمم تحت كتاب الطهارة واستنبطوا منها الأحكام الخاصة بها، كما جمعوا ما ورد في الصلاة وقيامها وركوعها والقراءة فيها تحت كتاب الصلاة، وما يتعلق بالصدقات وجوبًا ومصارف وأنواع المال التي تخرج الصدقة منها تحت كتاب الزكاة، وهكذا في سائر أبواب الفقه من العبادات والمعاملات والفرائض والسير.

وكل ذلك لون من ألوان التفسير الموضوعي في خطواته الأولى.

وقد أخذت هذه الدراسات الموضوعية اتجاهًا آخر في نفس الوقت وهو الاتجاه اللغوي وذلك بتتبع اللفظة القرآنية ومحاولة معرفة دلالاتها المختلفة.

فقد ألف مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة ١٥٠هـ كتابًا سماه "الأشباه والنظائر في القرآن الكريم"، وذكر فيه الكلمات التي اتحدت في اللفظ واختلفت دلالالتها حسب السياق في الآيات الكريمة.

وألف يحيى بن سلام المتوفى سنة ٢٠٠هـ كتابه "التصاريف"١، تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه على طريقة كتاب الأشباه والنظائر.

وألف الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ كتابه "المفردات في القرآن" حيث تتبع مادة الكلمة القرآنية وبين دلالاتها في مختلف الآيات.

ثم ألف ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ كتابه "نزهة الأعين النواضر في علم الوجوه والنظائر".

وعلى هذه الشاكلة كتاب الدامغاني المتوفى سنة ٤٧٨هـ بعنوان "إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم".

وكتاب الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧هـ بعنوان "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز".

وكتاب ابن العماد المتوفى سنة ٨٨٧هـ بعنوان "كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر".

وكان الغالب على هذه المؤلفات الجانب للكلمات الغريبة التي تتعدد دلالاتها حسب الاستعمال.

وإلى جانب هذا اللون من التفسير فقد برزت دراسات تفسيرية لم تقتصر على الجوانب اللغوية بل جمعت بين الآيات التي يربطها رابط واحد أو يمكن أن تدخل تحت عنوان معين: فقد ألف الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٤هـ كتابه في الناسخ والمنسوخ.

وألف الإمام علي بن المديني "شيخ البخاري" والمتوفى سنة ٢٣٤هـ كتابه في أسباب النزول.

وألف الإمام ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ كتابه "تأويل مشكل القرآن".

وألف أبو بكر الجصاص الحنفي المتوفى سنة ٣٧٠هـ كتابه "أحكام القرآن".

وألف ابن العربي المالكي المتوفى سنة ٥٤٣هـ كتابه "أحكام القرآن" أيضًا.

وألف إلكيا الهراسي الشافعي المتوفي سنة ٥٠٤ هـ كتابه "أحكام القرآن" أيضًا.

وظهرت مؤلفات أخرى جميع أصحابها ما يشمله عنوان الكتاب:

مثل "أمثال القرآن" للماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ.

وكتاب "مجاز القرآن" للعز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠هـ.

وكتاب "أقسام القرآن" و"أمثال القرآن" لابن القيم المتوفى سنة ٧٥١هـ.

ولا زال هذا الخط من التأليف في التفسير الموضوعي مستمرًا إلى يومنا هذا، وقد توجهت أنظار الباحثين إلى هدايات القرآن الكريم حول معطيات الحضارات المعاصرة وظهور المذاهب والاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية، والعلوم الكونية والطبيعية.

المؤلفات الحديثة في التفسير الموضوعي :

من المعلوم أن مصطلح التفسير الموضوعي مصطلح معاصر، لذا كانت المؤلفات فيه معاصرة، ومن هذه المؤلفات والدراسات:

١. مباحث في التفسير الموضوعي: للأستاذ الدكتور مصطفى مسلم.

٢. المدخل إلى التفسير الموضوعي: للدكتور عبدالستار فتح الله السعيد.

٣. البداية في التفسير الموضوعي: للدكتور عبدالحي الفرماوي.

٤. الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي: للدكتور الحسيني أبو فرحة.

٥. دراسات في التفسير الموضوعي: للدكتور أحمد العمري .

٦. دراسات في التفسير الموضوعي: للدكتور زاهر عواض الألمعي.

٧. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: للدكتور أحمد السيد الكومي .

٨. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: للدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي.

٩. محاضرات في التفسير الموضوعي: للأستاذ الدكتور عباس عوض الله عباس.

١٠. منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم،دراسة نقدية:للدكتور سامر عبدالرحمن شواني

١١. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف أ.د. مصطفى مسلم. وهذا الكتاب مهم جداً لابد من الاطلاع عليه من قبل الطلبة للتعرف على تفسير السور تفسيراً موضوعياً.

وهناك دراسات كثيرة اخرى يمكن لطالب العلم الاطلاع عليها ، ولم نذكرها للاختصار على المهم منها.

أهمية التفسير الموضوعي:

يمكن إجمال أهمية التفسير الموضوعي في النقاط الآتية:

١. التفسير الموضوعي يشكل عاملاً مهماً في رسم الحلول لمشكلات المسلمين المعاصرين، ويساعد في تقديم هذه الحلول على أساس القرآن الكريم، سواء أكانت هذه الحلول في المجال الاجتماعي أم الاقتصادي أم السياسي إلى غير ذلك من مجالات الواقع البشرية.

٢. يكشف التفسير الموضوعي عن المقاصد الأساسية للقرآن الكريم والمتمثلة في هدايته وإعجازه بطريقة يسهل تناولها والتعامل معها وفق متطلبات العصر الذي تتوجه مناهجه التربوية والتعليمية إلى التجزيء والتفصيل.

٣. التفسير الموضوعي يعطي الدلالة الواسعة الواضحة للأمر الإلهي بتدبر كلامه الكريم، وهو يعطي صورة متكاملة مترابطة عن نتائج هذا التدبر.

٤. التفسير الموضوعي هو الوسيلة المنهجية العلمية للارتفاع بمستوى التفكير العلمي الموضوعي عند الباحثين.

٥. يعزز التفسير الموضوعي الإقبال على القرآن الكريم وموضوعاته، ودراستها بيسر واستيعاب أفكاره.

٦. تتجلى . بوساطة التفسير الموضوعي . حقائق قرآنية وسنن إلهية في الكون والحياة، ما كان للإنسان أن يقف عليها بغير هذا اللون من التفسير.

٧. يعطي التفسير الموضوعي الفرصة للعلماء المسلمين بتأصيل الكثير من العلوم الإنسانية والطبيعية والحضارية المختلفة تأصيلاً قرآنياً.

٨. يساعد على دفع الكثير من الشبهات التي أثيرت حول الموضوعات القرآنية التي يظن أنها غير مترابطة، فتغلق بذلك أبواب الفتن، ومن ذلك غلق باب ما يتوهم أنه متعارض عند بعض العقول القاصرة بين آيات الكتاب العزيز.

أسباب ظهور التفسير الموضوعي المعاصر

مع كثرة التفاسير السابقة، إلا أنها لم تأتِ على كل معاني القرآن، ومع جهود علمائنا المفسرين السابقين الجليلة، ونظراتِهم النافذة الثاقبة في القرآن، إلا أنهم لم يستوعبوا كلَّ ما في القرآن.

لقد أخذوا من القرآن ما أخذوا من كنوز وجواهر ولآلئ، وبقي القرآن بحراً زاخراً بالكنوز واللآلئ والجواهر، ومهما اغترف العلماء اللاحقون من مَعين القرآن، فإنه يبقى غنياً غامراً، وكما قال عنه علي بن أبي طالب ﷺ: «لا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرَّدِّ».

كم ترك علماؤنا السابقون لنا من معاني ودلالات وميادين القرآن، مع نفاسة وأصالة ما قدّموا لنا! وكم سنترك نحن للأجيال القادمة من هذه المعاني والدلالات، وكم سيتركون هم لمن بعدهم منها!! .

ينطبق على كل العلماء في تعاملهم مع القرآن القول القائل: كم ترك الأول للآخر! .

و«كم» هنا هي التكثيرية الخبرية، وليست الاستفهامية! .

ويمكن أن نستخلص هنا أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور التفسير الموضوعي:

١- **الطبيعة العامة لهذا العصر**، حيث شهد تحكم «الجاهلية» في العالم، وقيادتها للبشرية، وانتفاش الكفر، وانتشار الأفكار والآراء الجاهلية الكافرة، ووصول هذه الأفكار إلى عقول ومجتمعات المسلمين، وقيام الكفار بتصعيد الغزو الفكري ضد المسلمين.

فدعت هذه الحاجة المفكرين والعلماء الإسلاميين المعاصرين إلى التوجه إلى القرآن وتدبره، لاستخراج حقائقه ودلالاته، التي يتم بها تفنيد الأفكار والمبادئ الغازية الجاهلية ومواجهتها، ووقاية المسلمين من شرورها.

وهذا حُسْنُ إدراك من المفكرين المعاصرين لمهمة القرآن الجهادية، في مواجهة الأفكار الجاهلية، المتمثلة في مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٢].

٢- **الوضع العام المحزن للمسلمين في هذا العصر**، حيث شهد العصر الحديث انحسار الإسلام عن واقع المسلمين، إذ تم القضاء على الخلافة الإسلامية، وأقصي الإسلام عن الحكم والتوجيه، ونشأت مناهج الحياة في بلاد المسلمين على أسس غير إسلامية، وأصبح الإسلام غريباً في مؤسسات ومجتمعات المسلمين.

وقد دفعت هذه الظاهرة الدعاة العلماء إلى العودة إلى القرآن، ودعوة المسلمين إلى الالتزام به، وتطبيق توجيهاته ومبادئه في حياتهم.

ولذلك قاموا بدراسة موضوعات القرآن، وتقديمها للمسلمين، ليفهموها ويستوعبوها، ثم ليتربّوا عليها، ويلتزموا بها.

٣- **مواكبة التطور العلمي المعرفي في هذا العصر**، حيث شهد العصر الحديث توجه العلماء والباحثين إلى مزيد من التخصص الدقيق، والتعمق المنهجي العلمي، وتجميع الجزئيات المتفرقة في «أطر» عامة موحدة.

لم يعد المفكرون المعاصرون مهتمين بالتفصيل والتجزيء، وتناول المسائل العلمية والموضوعات الفرعية، بصورة فردية، منعزلة عن مثيلاتها، وإنما صاروا مهتمين بالتصنيف الموضوعي الشامل للمسائل والقضايا.

لذلك أقبل المفكرون المسلمون على القرآن، ونظروا فيه هذه النظرة التوحيدية التجميعية، ولاحظوا مقاصده العامة، واستخرجوا منه الموضوعات العامة الموحدة، وقدّموا هذه الدراسات في التفسير الموضوعي.

٤- **إصدار أعمال علمية موضوعية عامة**، تتعلق بالقرآن وألفاظه وموضوعاته، ساعدت هذه الدراسات المعجمية العلمية الباحثين في القرآن، وسهلت عليهم استخراج الموضوعات القرآنية من السور والآيات.

بعض هذه المعاجم العلمية صدر عن مستشرقين غربيين، مثل كتاب «نجوم الفرقان في أطراف القرآن» للمستشرق الألماني «فلوجل». وكتاب «تفصيل موضوعات القرآن» للمستشرق الفرنسي «جول لابوم». وكتاب «المستدرك» على كتاب لابوم، للمستشرق الفرنسي إدوار مونتيه.

وبعض هذه المعاجم صدر عن باحثين مسلمين، او مجامع عربية، مثل كتاب «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن» لمحمد فؤاد عبدالباقي. وكتاب «معجم الأدوات والضمائر في القرآن» للدكتور إسماعيل عمايرة والدكتور عبدالحميد مصطفى السيد، وهو تكملة لمعجم عبدالباقي. وكتاب «معجم ألفاظ القرآن الكريم» الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة. وكتاب «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» لمحمد عبدالخالق عضيمة.

وكل هذه المعاجم سهلت على الباحثين الوقوف على موضوعات القرآن، ومعرفة الآيات القرآنية التي تتحدث عن الموضوع الواحد، في أسرع وقت، واستقصاء هذه الآيات.

ولذلك ساعدت هذه المعاجم على إصدار الدراسات الموضوعية القرآنية.

٥- التفات أقسام التفسير في الدراسات العليا في الكليات الشرعية والجامعات الإسلامية، إلى أهمية الدراسات الموضوعية القرآنية، وتوجيه الأساتذة المشرفين طلابهم إلى

الكتابة في التفسير الموضوعي، والبحث في الموضوعات القرآنية. وقد صدرت عن الباحثين في هذه الأقسام دراسات منوعة في الرسائل الجامعية، تتفاوت في قيمتها العلمية، لكنها بدايات جيدة مشجعة![1].

التفسير الموضوعي بين السابقين والمعاصرين

قلنا: إن «التفسير الموضوعي» مصطلح معاصر، وحَقْلُ بحث معاصر، قام به العلماء والباحثون المعاصرون في تدبرهم للقرآن.

وهذا يعني أن العلماء والمفسرين السابقين لم يبحثوا في التفسير الموضوعي، بالطريقة المعروفة لنا في هذا العصر.

بدايات التفسير الموضوعي عند السابقين:

إن عدم بحث السابقين للتفسير الموضوعي بالطريقة المعاصرة، لا يعني أن لا يكون للتفسير الموضوعي بداياتٌ عندهم.

فهناك بعض النظرات لبعض علماء التفسير في آيات القرآن، تصلح أن تكون نواةً للتفسير الموضوعي، وأن تكون لبناتٍ أولية، وبداياتٍ تمهيدية، توصِل إلى هذا العلم عند علماء العصر الحاضر.

ويمكن أن نرصد البداياتِ التالية، التي تصلح أن تكون لبناتٍ تمهيدية لهذا العلم المعاصر:

أولاً: تفسير الرسول ﷺ لبعض آيات القرآن:

وذلك جواباً منه على أسئلة الصحابة، حيث كان يصوِّب لهم فهمَهم للآية، أو يزيل لهم إشكالاً حولها، وكان في جوابه ﷺ يفسر القرآن بالقرآن، حيث يستشهد بآية أخرى في توضيح معنى الآية موضوع السؤال.

من الأمثلة على ذلك ما رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: لما نزل قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ [الأنعام:٨٢] شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أيُّنا لا يظلم نفسه؟

فقال ﷺ : «ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣]» [1].

فالرسول ﷺ أزال اللبس عن آيةِ سورة الأنعام، بذكر آية سورة لقمان.

لقد حمل الصحابةُ الظلمَ على المعصية، وهم يعلمون أنهم غيرُ معصومين، فإذا كان الظالم، أي: العاصي لا ينجو، فلن ينجوَ أحد من الصحابة.

فذكر لهم الرسول ﷺ آيةَ سورة لقمان التي تخصصُ الظلمَ في هذا الموطن بالشرك، لأن لقمان قال لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾.

فالمراد بالظلم في آيةِ سورة الأنعام هو الشرك.

إن هذا التفسير من رسول الله ﷺ ، هو تفسير للقرآن بالقرآن، وهو لَبنة من لَبناتِ التفسير الموضوعي اللاحقة.

ثانياً: ابن عباس يجمع بين آيات متعارضة في الظاهر:

روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ:

فقد قال الله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١]. وقال الله: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات:٢٧]. وقال الله: ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾ [النساء:٤٢].

وقال الله: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣] فقد كتموا في هذه الآية.

وقال الله: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات:٢٧-٣٠].

فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض. وقال الله: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت:٩-١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء.

وقال الله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٩٦] وقال الله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٨]، وقال الله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء:١٣٤] فكأنه كان، ثم مضى.

فقال ابن عباس: «قوله: «فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون» في النفخةِ الأولى، وقوله: «وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون» في النفخة الثانية.

وإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، عند ذلك يقول المشركون: تعالوا نقول: «والله ربنا ما كنا مشركين». فيختم الله على أفواههم. فتنطق أيديهم، عند ذلك يعرفون أن الله لا يُكتم حديثاً، وهذا قوله: «ولا يكتمون الله حديثاً».

وخلق الله الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحْوها بأن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجِمال والآكام وما بينهما، في يومين آخرين.

فذلك قوله: «والأرض بعد ذلك دحاها» وقوله: «خلق الأرض في يومين»، فجُعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخُلقت السموات في يومين.

وقوله: «وكان الله غفوراً رحيماً» إن الله سمى نفسَه بذلك، وذلك قوله، وهو لم يزل كذلك، فإن الله لم يُرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد.

فلا يختلف عليك القرآنُ، فإن كُلاً من عند الله.. »[1].

ونقل ابن حجر في شرح هذا الأثر أن الذي سأل ابن عباس عن هذه الآيات هو نافع بن الأزرق، رأس الخوارج الأزارقة.

كما نقل ابن حجر قول نافع لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ. أي: تشكل وتضطرب، لأن بين ظواهرها تدافعاً.

فقال له ابن عباس: ما هذا؟ شكٌّ في القرآن؟

فأجاب نافع: ليس بشكّ، ولكنه اختلاف.

فقال له ابن عباس: هاتِ ما اختلف عليك.

وقد وضّح ابن حجر خلاصة الأسئلة والأجوبة، فقال:

«وحاصل ما وقع السؤال عنه أربعة مواضيع:

الأول: نفي المساءلة يوم القيامة، وإثباتها.

الثاني: كتمان المشركين حالهم، ثم إفشاؤه.

الثالث: خلق السموات والأرض، أيهما كان أولاً.

الرابع: الإتيان بحرف «كان» الدال على الماضي، مع أن الصفة لازمة.

وحاصل جواب ابن عباس:

عن الأول: أن نفي المساءلة فيما قبل النفخة الثانية، وإثباتها فيما بعد ذلك.

وعن الثاني: أنهم يكتمون بألسنتهم، فتنطق أيديهم وجوارحهم.

وعن الثالث: أن الله بدأ خلق الأرض في يومين غير مدحوّة، ثم خلق السماء فسوّاها في يومين، ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين، فتلك أربعة أيام للأرض.

وعن الرابع: بأن «كان» وإن كانت للماضي، لكنها لا تستلزم الانقطاع، بل المراد أن الله لم يزل كذلك..» [1].

وقد أطلنا في ذكر الأسئلة الموجهة لابن عباس، وجوابه عنها، وجمْعه بين الآيات المتعارضة في الظاهر، ليعلم القارئ أن الصحابة كانوا على علم أصيل بتأويل القرآن، وتوجيه المتشابه من آياته، وعلى قدرة في الجمع بين هذه الآيات، عندما يتحتم ذلك عليهم، وتوجه الأسئلة بذلك إليهم.

إن هذه الواقعة بين نافع بن الأزرق وابن عباس مثال واضح على البدايات الصحيحة للتفسير الموضوعي زمن الصحابة وإن لم يكن بالطريقة المعروفة لنا في العصر الحاضر! .

ومع اعتمادنا لتوجيه ابن عباس رضي الله عنهما لتلك الآيات، إلا أن هذه الآيات تقبل وتحتمل توجيهاً آخر، ليس هذا موضع تقريره! .

ثالثاً: إفراد بعض علوم القرآن بمؤلفات خاصة:

خطا علماء التفسير خطوة أخرى، أبعد من الخطوة السابقة، وهي تمهيد للتفسير الموضوعي بالمفهوم الذي نعنيه.

حيث قام بعض العلماء بجمع الآيات القرآنية، التي تندرج ضمن مبحث من مباحث علوم القرآن وإفراد مؤلف خاص بها.

فقد ألّف قتادة بن دعامة السدوسي كتاباً في الناسخ والمنسوخ في القرآن، وتوفي قتادة في (١١٨هـ). كما ألّف أبو عُبيد القاسم بن سلاّم (توفي في ٢٢٤هـ) كتاباً في الناسخ والمنسوخ أيضاً. وألّف يحيى بن سلام البصري (توفي في ٢٠٠هـ) كتاباً في الأشباه والنظائر. وألّف أبو عبيدة معمر بن المثنى (توفي في ٢٠٩هـ) كتاباً في مجاز القرآن. وألّف علي ابن المديني (توفي في ٢٣٤هـ) كتاباً في أسباب النزول. وألّف ابن قتيبة (توفي في ٢٧٦هـ) كتابه في تأويل مشكل القرآن. وألّف أبو بكر السجستاني (توفي في ٣٣٠هـ) كتاباً في غريب القرآن. وألّف أبو بكر الجصاص الحنفي (توفي في ٣٧٠هـ) كتاباً في أحكام القرآن. وألّف الراغب الأصفهاني (توفي ٤٢٥هـ تقريباً) كتاباً في مفردات ألفاظ القرآن. وفي القرن السادس ألّف إلْكِيَا الهرّاسي الشافعي (توفي في ٥٠٤هـ) كتاباً في أحكام القرآن. وألّف القاضي أبو بكر بن العربي المالكي (توفي في ٥٤٣هـ) كتاباً في أحكام القرآن.

وفي القرن السابع ألّف العز بن عبدالسلام (توفي في ٦٦٠هـ) كتاباً في مجاز القرآن.

وفي القرن الثامن ألّف ابن القيم (توفي في ٧٥١هـ) كتاباً في أقسام القرآن.

وهكذا تتابع العلماء على التأليف في موضوعات خاصة من علوم القرآن على مدار القرون، وهذه المؤلفات تصلح أن تكون لَبناتٍ في التفسير الموضوعي، وإن لم تكن من التفسير الموضوعي بالمعنى الذي نريده[1].

دراسات قرآنية معاصرة:

أقبل الباحثون والكاتبون المعاصرون على القرآن الكريم، ووقفوا أمام موضوعاته وقفاتٍ مطوَّلة، وألفوا عدداً من الدراساتِ القرآنية المعاصرة، وكثرت هذه الدراسات القرآنيةُ المعاصرة كثرةً ملحوظة، وما زالت هذه الدراسات القرآنيةُ تتابع! .

ولعل الظرفَ الخاصَّ الذي يعيشه المسلمون في هذا العصر، هو الذي دفعَ المفكرين والباحثين إلى الإقبال على القرآن، والكتابة في موضوعاته.

إن من أبرز سمات هذا العصر أنه شهد التآمر على الخلافة الإسلامية وهدْمَها، وهجمة أعداء الإسلام من الصليبيين واليهود وغيرهم على الإسلام والمسلمين، وغربة الأجيال الجديدة من المسلمين عن مبادئ الإسلام وحقائق القرآن، وانتشار أفكارٍ مناقضة للقرآن بين المسلمين، ووجود حركاتٍ ودعوات وجماعات إسلامية تعمل على استئناف الحياة الإسلامية من جديد.

هذه السماتُ دفعت بالعلماء والباحثين إلى الإقبال على القرآن، وإصدار دراسات قرآنية حوله.

وعندما نتكلم عن الدراسات القرآنية المعاصرة، القريبةِ من التفسير الموضوعي الذي نتكلم عنه، فإننا نعني تلك الكتبَ والدراسات الخاصة بموضوعاتِ وأفكارِ

وحقائق وتوجيهات القرآن، والتي تدور حول القرآن، ولا تخرج عنه إلى باقي مصادر الإسلام الأخرى، كالحديث والفقه والعقيدة والتاريخ واللغة، وغير ذلك.

إذا بقي الكاتب مع القرآن وحقائقه فإن دراسته تكون دراسة قرآنية، أما إذا خرج الكاتب إلى الحديث أو العقيدة أو الفقه أو التاريخ، فإن دراسته تكون دراسة إسلامية، وليست دراسة قرآنية، لأنه يتلكم عن الإسلام بمفهومه الأشمل، وليس عن القرآن بمفهومه وموضوعه الأخص.

ولهذا نقرر أن الدراسات الإسلامية العامة الشاملة ليست دراسات قرآنية خاصة، وليست قريبة من التفسير الموضوعي، مع أنها صورة من صور الفكر الإسلامي المعاصر!.

من الدراسات القرآنية المعاصرة – وهي كثيرةٌ جداً – على سبيل المثال: «الإنسان في القرآن» و«المرأة في القرآن » لعباس محمود العقاد. ومنها «التفسير العلمي للآيات الكونية» لحنفي أحمد، ومنها «اليهود في القرآن» لمحمد عزة دروزة، ولعفيف طبارة. ومنها «خصائص التصور الإسلامي» و«مقومات التصور الإسلامي» و«معالم في الطريق» لسيد قطب. ومنها «ظاهرة النفاق في القرآن» لعبدالرحمن حبنكة الميداني. ومنها «متشابه القرآن دراسة موضوعية» للدكتور عدنان زرزور. ومنها «الإنسان في القرآن الكريم» للدكتور محمد لطفي الصباغ. وهكذا.

هذه الدراسات القرآنية ليست نماذج لدراسات تمثل التفسير الموضوعي، لأنها لا تسير على الخطة النموذجية للتفسير الموضوعي، ولا تلتزم بالمنهج الموضوعي للتفسير الموضوعي، ولهذا تعتبر دراسات قرآنية نافعة، تبحث عن بعض موضوعات القرآن، وتعرض بعض حقائق وتوجيهات القرآن!! .

لم يؤلف السابقون في التفسير الموضوعي:

من خلال هذا المبحث «التفسير الموضوعي بين السابقين والمعاصرين» ظهر لنا أن المفسرين والعلماء السابقين لم يبحثوا في التفسير الموضوعي، باعتباره علماً محدداً، له منهج وطريقة وخطة، مع أن بعض الباحثين اعتبروا بعض دراسات السابقين من باب التفسير الموضوعي.

قال الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله في كتابه «التفسير والمفسرون» عن التفسير الموضوعي عند السابقين: «وكذلك وُجِدَ من العلماء من ضيّق دائرة البحث في التفسير، فتكلم عن ناحية واحدة من نواحيه المتشعبة المتعددة.

فابن القيم – مثلاً – أفرد كتاباً من مؤلفاته للكلام عن أقسام القرآن، سمّاه «التبيان في أقسام القرآن». وأبو عبيدة أفرد كتاباً للكلام عن مجاز القرآن، والراغب الأصفهاني أفرد كتاباً في مفردات القرآن، وأبو جعفر النحاس أفرد كتاباً في الناسخ والمنسوخ من القرآن، وأبو الحسن الواحدي أفرد كتاباً في أسباب نزول القرآن، والجصاص أفرد كتاباً في أحكام القرآن

وغير هؤلاء كثير من العلماء، الذين قصدوا إلى موضوع خاص في القرآن، يجمعون ما تفرق منه، ويُفردونه بالدرس والبحث..» [1].

ومع أن الدكتور الذهبي يعتبر تلك الدراسات القرآنية من التفسير الموضوعي، إلا أنها تدخل ضمن الدراسات في علوم القرآن، كما سبق أن أوردناها، وإذا جاز لنا قبولها ضمن التفسير الموضوعي، مع كثير من التساهل والتجوّز، فإنها تكون من التفسير الموضوعي، بمعناه العام الشامل القرآني، وليس بمعناه الخاص العلمي المنهجي.

ولهذا نحن مع أستاذنا الدكتور أحمد حسن فرحات في تعقيبه على كلام الدكتور الذهبي السابق: «ولكن حتى هذه الكتب المؤلفة في موضوع واحد من موضوعات علوم القرآن، فإنها تنهج نفس المنهج التحليلي، الذي أشرنا إليه، وهو الكلام في جزيئات الآية، من لغة وصرف ونحو وبلاغة، وما إلى ذلك...

فإذا نظرنا إلى وحدة الموضوع، الذي يجمع الآيات المتعددة من سور مختلفة، أمكننا أن نعتبر مثل هذا العمل نوعاً من التفسير الموضوعي، مع شيء من التجوز.

وإذا نظرنا إلى الطريقة التي تُحلل فيها الآيات إلى جزئياتها، أمكننا أن نعتبر هذا من قبيل التفسير التحليلي..» [2].

التفسير الموضعي والموضوعي

ذكرنا سابقاً أن التفسير من حيث مناهج وطرق المفسرين ينقسم إلى أربعة أقسام، وهي: التفسير التحليلي، والتفسير الإجمالي، والتفسير المقارن، والتفسير الموضوعي.

ويمكن أن نصنف هذه الأقسام الأربعة تصنيفاً آخر، أكثر شمولاً، فنجعل الأقسام الثلاثة الأولى مندرجة تحت عنوان جامع، وهو التفسير الموضعي، ونجعله مقابلاً للتفسير الموضوعي.

التفسير من حيث مناهجُ المفسرين نوعان: تفسير موضعي، وتفسير موضوعي:

التفسير الموضعي: «هو الذي يرجع فيه المفسر إلى موضع واحد من القرآن الكريم، متتبعاً ترتيب الآيات في سورها. وهذا اللون قد يكون بالمأثور، أو بالرأي المحمود، وقد يكون تحليلياً عند التفصيل، أو إجمالياً عند الاختصار، وقد يكون مقارَناً، إذا اتّبع المفسر منهج الموازنة.

والتفسير الموضوعي: هو الذي يلتزم فيه المفسر «موضوعاً» لا موضِعاً بعينه، فيجمع الآيات الكريمة من مواضعها، ويقيم منها بناءً متكاملاً، يقرر موقف القرآن من قضية ما..» [1].

التفسير التحليلي والإجمالي والمقارَن موضعي، لأن المفسر يبقى في موضع واحد لا يتجاوزه، ولا يتعدّاه إلى موضع آخر إلا بعد أن يكمله، فهو يبقى مع سورة البقرة حتى يأتي على تفسيرها، وعندما يقف مع «الوحدة الأولى» منها يبقى معها، ولا ينتقل إلى الوحدة الثانية إلا بعد الانتهاء منها، وعندما يفسر آية من آياتها فإنه لا يتجاوزها إلى الآية التالية إلا بعد الانتهاء من تفسيرها.

ولهذا صحّ إطلاق اسم «التفسير الموضعي» على هذا النوع من التفسير. وكل التفاسير السابقة – على مدار قرون التاريخ الإسلامي – هي من هذا اللون من التفسير، بحيث يمكن اعتبارها تفاسير «موضعية» للقرآن.

أما التفسير الموضوعي فهو المقابل للتفسير الموضعي، لأن الباحث أو المفسر، لا يبقى في موضع واحد من القرآن، سورةً أو وحدةً أو درساً أو آية، وإنما يأخذ الموضوع الذي يبحثه، ويقوم بجولة موضوعية، في السور والآيات، ويتعرف على كيفية معالجة السور المختلفة والآيات العديدة لهذا الموضوع، وهو في بحثه هذا لا يلتفت إلى أي موضوع آخر!.

ويمكن أن نطلق على التفسير الموضعي اسماً آخر، وهو التفسير التجزيئي. بينما نطلق على التفسير الموضوعي اسم التفسير التوحيدي.

قال الشيخ محمد باقر الصدر في كتابه «المدرسة القرآنية» عن التفسير التجزيئي: «ونعني بالاتجاه التجزيئي: المنهج الذي يتناول المفسِّر ضمن إطاره القرآن الكريم آيةً فآية، وفقاً لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف.

والمفسر في إطار المنهج يسير مع المصحف، ويفسِّر قطعاته تدريجياً...»[1].

وقال الصدر عن التفسير التوحيدي:

«الاتجاه الثاني: نسميه الاتجاهَ التوحيديَّ أو الموضوعي في التفسير.

هذا الاتجاه لا يتناول تفسير القرآن آيةً فآية، بالطريقة التي يمارسها التفسير التجزيئي، بل يحاول القيام بالدراسة القرآنية، لموضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية..»[2].

ووجه تسمية التفسير الموضعي بالتجزيئي أن المفسِّر يقوم بتجزيء الآية، وتقسيمها إلى عدة جمل، ثم يتكلم على جُملها جملةً جملة، وقد يتكلم على كلماتها كلمةً كلمة.

ووجه تسمية التفسير الموضوعي بالتوحيدي أن المفسر يوحِّد الآيات المختلفة، التي تتحدث عن موضوع واحد، ويجمع بينها، ويستخرج حقائقها وإيحاءاتها المختلفة، بعد هذه النظرة التجميعية التوحيدية.

والخلاصة أن التفسير التحليلي قد يسمى التفسير الموضعي، وقد يسمى التفسير التجزيئي، وأن التفسير الموضوعي قد يسمى التفسير التوحيدي.

الفرق بين التفسير الموضعي والموضوعي

الأَوْلى أن نسمي التفسير التحليليَّ التفسيرَ الموضعي، وأن نسمي التفسير المقابلَ له التفسير الموضوعي.

هناك فروق بين التفسير الموضعيِّ والتفسير الموضوعي، يمكن أن نذكر بعضها:

١- المفسِّر في التفسير الموضعي ينظر في القرآن وسورِه وآياته، يبدأ منه، ويبقى معه، وينتهي به، يجلس أمام القرآن، ويتلقى منه، ويستمع إليه، ويسجل ما يتلقاه ويأخذه منه.

بينما المفسر في التفسير الموضوعي يبدأ من الواقع الذي يعيش فيه، ويدرك حاجات الأمة والإنسانية في عصره، على مختلف جوانبها، حاجاتِها الفكرية والنظرية والعلمية والسلوكية والإنسانية والحضارية والسياسية والاقتصادية، وغير ذلك.

وبعدما يعي هذه الحاجات الواقعية، ويُحسِن تشخيصَها واستيعابَها، يتوجَّه إلى القرآن، ليتفاعلَ معه، ويتعلَّم منه، ويعرفَ رأيه في هذه الحاجات والقضايا الواقعية المعاصرة.

يجلس الباحث في التفسير الموضوعي أمام القرآن، جلسة إيجابية فاعلة، يحاور القرآن، ويستنطقه ويسأله، ويطلب من القرآن رأيه الإيجابيّ الصادقَ الصائب في القضايا والموضوعات، التي يعيشها الناس في واقعه وعصره، ويأخذ من القرآن حقائقه اليقينية القاطعة.

وبعد ما يتلقى عن القرآن الإجاباتِ العلمية الموضوعية الصائبة، يقوم بترتيب هذه الإجابات، ويقدمها لأمته، ليُصلحوا واقعَهم على أساسها.

إن الباحث في التفسير الموضوعي دائم الربط بين الواقع الذي تعيشه الأمة وبين القرآن، وهو يريد إصلاح الواقع على هدْيِ موضوعاتِ القرآن، ويدرك الأبعاد الواقعية للموضوعات القرآنية[1].

إن المفسر في التفسير الموضعي لا يلتفت لواقع أمته، ويبقى مع الآيات القرآنية شارحاً مفسِّراً محللاً مفصلاً.

بينما المفسر في التفسير الموضوعي يُحسن الصلة بين الواقع وبين القرآن، ويدرك إيحاءات القرآن الواقعية، ويُصلح الواقع على هدْي القرآن، فهو يبدأ من حُسْن تشخيص حاجات الواقع، وينتهي إلى حُسْن تقديم العلاج القرآني لهذا الواقع! .

٢- المفسِّر في التفسير الموضعيِّ التحليلي يكتفي بتحليل الآيات وجُمَلها وتراكيبها، واستخراج دلالاتها التفصيلية الجزئية.

بينما المفسر في التفسير الموضوعي، يجمع بين هذه المدلولات التفصيلية، وينسّق بينها، ويَصل بين جزئياتها المفردة، وبين الكل العام الجامع لها، ويستخرج من مجموعها نظرية قرآنية واقعية متكاملة! .

يجمع المفسِّر في التفسير الموضوعي بين الدلالات التفصيلية المتفرقة عن النبوة، أو عن السنن الربانية، أو عن الحاكمية، أو عن العبادة، ليستخرج منها نظرية قرآنية متكاملة متناسقة عن النبوة، أو عن السنن الربانية، أو عن الحاكمية، أو عن العبادة.

أي أن التفسير الموضعي هو التمهيد واللَّبنات الأولى المتفرقةُ للتفسير الموضوعي المتكامل!! [٢].

٣- المفسِّر في التفسير الموضعي يقدم للمسلمين علماً تفسيرياً نظرياً، ومعلومات تفسيرية ثقافية، ومجالات علمية متنوعة، في العقيدة والحديث واللغة والبلاغة والنحو والفقه، وغير ذلك.

بينما المفسِّر في التفسير الموضوعي يقدم للمسلمين فكراً وحضارة، وحلولاً قرآنية لمشكلات واقعية، وحقائق قرآنية عن قضايا اجتماعية وحضارية.

فالعلاج والشفاء في التفسير الموضوعي أهم وأدق وأشمل.

٤- إذا كان التفسير الموضعيُّ التحليلي يخدم الآية والجملة والمفردة القرآنية، فإن التفسير الموضوعيَّ يخدم مهمة القرآن ورسالته ووظيفته في حياة المسلمين.

ويزيد تفاعل المسلمين مع القرآن، وقناعتهم بحقائقه، ودعوتهم إليه.

إن التفسير الموضوعي هو الذي يتناسب مع مقاصد القرآن وأوّلياته، ومنطلقاته الأساسية، ويخدمها، ويُحسن عرضها والدعوة إليها.

أنواع التفسير الموضوعي:

لكي تتضح صورة التفسير الموضوعي وتنكشف لنا حقيقته لابد لنا من بيان أنواع التفسير، فأقول: ينقسم التفسير على أربعة أقسام من حيث طريقة المفسر في التفسير، هي كما يأتي:

١. التفسير التحليلي: هو النوع الذي يتبع فيه المفسر ترتيب المصحف، فيشرح جملة من الآيات أو سورة أو القرآن كله، ويبين ما يتعلق بكل آية من: مناسبتها، وسبب نزولها، ومفرداتها، وإعرابها، وبلاغتها، والمعنى العام، وما يستنبط منها...الخ. وعرفه الدكتور سامر عبد الرحمن بأنه ((ما يكشف عن مراد الله عز وجل من كلامه بحسب الطاقة البشرية حسب ترتيب القرآن وتسلسل آياته ألتوقيفي)).

٢. التفسير الإجمالي: هو النوع الذي يبين فيه المفسر خلاصة معنى الآية أو الآيات التي يفسرها ويبرز مقاصدها ويشرح الدقيق من ألفاظها وسبب نزولها حتى يتقرر المعنى العام بلا دخول في تفاصيل كثيرة. والمقصود منه إعطاء فكرة إجمالية عما يتلوه القارئ من القرآن حتى يكون السامع كاشفاً لأهداف ما يتلى عليه واعياً لمقاصده.

٣. التفسير المقارن: هو النوع الذي يتتبع فيه المفسر آية من القرآن أو جملة من الآيات ليستطلع آراء المفسرين فيها، ويقارن بين أقوالهم، لغرض معرفة الراجح من الأقوال وما لها وما عليها.

٤. التفسير الموضوعي: وهو النوع الذي هو محور دراستنا وسبق أن عرفناه. ويفرق بين الأنواع الثلاثة الأولى وبين النوع الأخير أن الأنواع الثلاثة الأولى يمكن أن نطلق عليها التفسير الموضعي، أي: إن المفسر يعتني في تفسيره بموضع معين من القرآن ليبين معانيه ملتزماً بترتيب الآيات في المصحف، وقد عرف الدكتور سامر عبدالرحمن التفسير الموضعي بأنه ((ذلك النمط من التفسير الذي يرجع فيه المفسر إلى موضع واحد من القرآن متتبعاً ترتيب الآيات في سورها، وهذا اللون قد يكون بالمأثور أو الرأي المحمود، وقد يكون تحليلياً عند التفصيل أو إجمالياً عند الاختصار، وقد يكون مقارناً إذا اتبع المفسر منهج الموازنة)) وقد أطلق عليها بعض المعاصرين مصطلح التفسير التجزيئي.

أما النوع الرابع فهو التفسير الموضوعي، إذ يعتني المفسر ببيان ما ذكره القرآن حول موضوع معين غير ملتزم بمحل معين من القرآن ولا يراعي ترتيب الآيات في المصحف، وتدخل الأنواع الثلاثة السابقة في التفسير الموضوعي؛ إذ يوظفها المفسر في تقرير الموضوع الذي يتناوله. وقد أطلق عليه بعض المعاصرين مصطلح التفسير التوحيدي. وذكر بعض الباحثين أن التفسير الموضوعي يقوم على أساس التفسير التحليلي، فالدارس في التفسير الموضوعي لابد من أن يستفيد من التفسير التحليلي في بيان دلالات الألفاظ ومعاني الآيات.

أنواع التفسير الموضوعي : -

التفسير الموضوعي ينقسم على ثلاثة أقسام، هي:

١. التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني: هذا النوع يختص بالمصطلحات والمفردات القرآنية، إذ يختار الباحث لفظاً من ألفاظ القرآن الكريم ورد كثيراً في السياق القرآني، فيتتبعه في السور والآيات، ويلاحظ اشتقاقاته وتصاريفه المختلفة، وينظر في الآيات التي أوردته مجتمعة ويستخرج منها الدلالات واللطائف الحقائق المتعلقة باللفظ المدروس .

ومن الامثلة على هذا اللون(الخلافة في الارض–الذين في قلوبهم مرض–الأمة في دلالاتها العربية والقرآنية)الدكتور احمد حسن فرحات.

٢. التفسير الموضوعي للسورة القرآنية: في هذا النوع يختار الباحث سورة من القرآن الكريم، وينظر فيها نظرة موضوعية متدبرة، ويتعرف على موضوع السورة ومقاصدها وأهدافها وعلى الخطوط الرئيسية التي تجمع مختلف موضوعاتها الفرعية. ويخرج من ذلك بتحليل موضوعي موسع ودراسة موضوعية متكاملة تبدو معها تلك السورة وحدة موضوعية متناسقة.

ومن الذين استشرفوا الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية الإمام الزمخشري والإمام فخر الدين الرازي ،ومن المعاصرين سيد قطب، ومحمد رشيد رضا، وابن عاشور.

٣. التفسير الموضوعي للموضوع القرآني: هذا النوع من التفسير الموضوعي يُعنى بموضوعات القرآن العامة؛ إذ يختار الباحث أحد هذه الموضوعات وينظر في آيات القرآن الكريم التي عرضته، ويستخرج منها الدلالات المختلفة. وهنا لابد من الإشارة إلى أن الباحث عندما يختار الموضوع ينبغي أن يكون موضوعاً له أبعاد واقعية إصلاحية، أو له مجالات علمية، أو آفاق تربوية ،ولابد ان تكون هناك حاجة ماسة اليه من قبل المسلمين المعاصرين .

وهذا النوع هو الذي اتفق جميع الدارسين والباحثين على عده ضمن التفسير الموضوعي، والفرق بينه وبين النوع الأول هو أن الباحث في التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني يبقى مع المفردة القرآنية التي اختارها، ويتابع معناها في معاجم اللغة واشتقاقاتها وتصريفاتها في القرآن. أما التفسير الموضوعي للموضوع القرآني فإن البحث فيه أعمُّ وأشمل وميدانه في البحث أوسع من النوع الأول؛ فهو ينظر في الآيات التي عرضت الموضوع المدروس والآيات التي عرضت ألفاظاً أخرى قريبة منه والآيات التي عرضت موضوعات تتصل به أو تساعد على توضيحه . ومن الأبحاث المهمة في هذا اللون كتاب (الصبر في القرآن الكريم) يوسف القرضاوي.

الخطوات المرحلية للسير مع المصطلح القرآني

يمر بحث المصطلح القرآني بمرحلتين أساسيتين، هما: مرحلة البحث والجمع، ومرحلة الترتيب والتبويب والصياغة. ولكل مرحلة خطوات فرعية متدرجة.

المرحلة الأولى: خطوات البحث والجمع:

١. اختيار المصطلح القرآني الذي يريد بحثه، بعد تحديد أسباب هذا الاختيار، كأن يقول: أريد أن أبحث الأمانة في القرآن، الميثاق في القرآن...

٢. تحديد الجذر الثلاثي للكلمة، بأن يعيدها إلى أصلها الثلاثي للأمانة وهو: أمن .، والجذر الثلاثي للميثاق وهو: وثق . .

٣. أخذ معنى الجذر الثلاثي من أمهات كتب اللغة ومعاجمها الأساسية، ومن أهمها:

أ.معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ).

ب.مفردات ألفاظ القرآن: للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ تقريباً).

ت. معجم لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ).

ث. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: لأحمد بن يوسف السمين الحلبي(ت ٧٥٦هـ).

ج. الكليات: لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت ١٠٩٤هـ).

فعلى الباحث أن يأخذ معنى الجذر الثلاثي من هذه المعاجم الخمسة بهذا الترتيب، وعليه أن يعرف ماذا أضاف اللاحق للسابق من معانيها.

٤. متابعة ورود الجذر الثلاثي واشتقاقاته وتصريفاته في القرآن الكريم، وأخذ هذا من المعاجم التي عُنيت بفهرسة ألفاظ القرآن الكريم، ومن هذه المعاجم:

أ. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: لمحمد فؤاد عبد الباقي.

ب. معجم الأدوات والضمائر في القرآن: لإسماعيل عمايرة فؤاد السيد.

٥. ربط المعنى اللغوي للمصطلح القرآني مع الاستعمال القرآني، وملاحظة توفر المعنى اللغوي له في كل مفرداته ومشتقاته.

٦. ربط المصطلح القرآني مع السياق الذي ورد فيه، وبيان تناسق وتناسب هذا المصطلح مع الآية التي ورد فيها، ومع الدرس الذي وردت فيه الآية، وذلك لبيان الوحدة الموضوعية للدرس. فمن المعلوم أن للسياق القرآني أثراً مباشراً في ورود المصطلح القرآني على الصورة التي ورد فيها وفي تركيب حروفه وحركاته.

فمثلاً جاء الفعل (جاهداك) مسنداً للوالدين الكافرين، فما حكمة هذا الإسناد؟ ونلاحظ أن هذا الفعل عُدِّي في موضع بـ (اللام) . جاهداك لتشرك .، وفي موضع آخر عُدِّي بالحرف (على) . جاهداك على أن تشرك .. فهل هناك فرق في معنى الفعل (جاهداك) في هذين الموضعين؟ وما أثر اختلاف التعدية على معناه؟

ومما يتعلق بهذا يجب ملاحظة القراءات المختلفة التي قرئ بها المصطلح وتوجيه كل قراءة لمعرفة معنى المصطلح على كل قراءة.

٧. الاطلاع على تفسير الآيات التي أوردت المصطلح في أمهات كتب التفسير، بأن يختار تفسيراً يمثل كل مدرسة من مدارس التفسير، ومن هذه الكتب: تفسير الطبري، والزمخشري، والرازي، وابن كثير، وابن عاشور.

وعلى الباحث أن يجمع من هذه التفاسير ما ورد حول الآيات من أحاديث صحيحة وأقوال الصحابة والتابعين ومشاهير المفسرين.

خطوات مرحلة الترتيب والصياغة: (المرحلة الثانية)

في المرحلة الأولى تجمعت المادة التفسيرية أمام الباحث، وهو الآن يريد تبويبها وصياغتها، وعليه أن يتبع الخطوات الآتية:

١. إلقاء نظرة فاحصة على المادة التفسيرية المجموعة أمامه، نظرة منهجية موضوعية، بهدف إدراك فصولها ومباحثها وترتيبها منهجياً واختيار عناوين مباحثها.

٢. وضع مخطط منهجي موضوعي للبحث، مفصل الفصول والمباحث، بحيث تكون هذه المباحث متناسقة ذات عناوين واضحة معبرة.

٣. توزيع المادة التفسيرية على فصول ومباحث المخطط، ووضع مادة كل فصل على حدة، بحيث تكون مادة كل فصل معروفة محددة.

٤. البدء بصياغة وكتابة كل فصل، وعدم الانتقال إلى الفصل التالي إلا بعد الانتهاء من الفصل الذي بين يديه.

٥. الحرص على دقة الصياغة من الناحية الظاهرية والموضوعية، ومراعاة قواعد النحو والإملاء ووضع علامات الترقيم في مواضعها الصحيحة.

٦. مراعاة وضع اللطائف واللفتات في مواضعها، بحيث تكون متلائمة مع المكان الذي وُضعت فيه.

٧. التركيز على ربط المصطلح القرآني بمقاصد القرآن وأهدافه، باعتباره كتاب هداية وتوجيه، والالتفات إلى الواقع المعاصر ومشكلاته، وإظهار علاج المصطلح لها.

٨. الإخراج الفني المقبول لبحثه، من حيث المقدمة، والفصول مع مباحثها، والخاتمة، وقائمة المصادر، ومن حيث التوثيق العلمي للمادة المكتوبة وترقيم الآيات وتخريج الأحاديث وتشكيل الكلمات المشكلة.

الخطوات المرحلية للسير مع الموضوع القرآني

هذا النوع هو أقرب الأنواع إلى التفسير الموضوعي، فهو أهم الأنواع، وفيما يأتي الخطوات المرحلية للسير مع الموضوع القرآني:

١. اختيار الموضوع القرآني للبحث، وشروط الموضوع القرآني كما سبق شرحه: أ. أن يرد ذكره في القرآن الكريم في أكثر من سورة. ب . أن يتناوله القرآن بأكثر من أسلوب. ج . أن تكون للقضية أبعاد ومجالات متعددة.

٢. تسجيل الأسباب التي دفعته لاختيار الموضوع والأهداف التي يريد تحقيقها من خلاله، وبيان مدى الحاجة المعاصرة للموضوع.

٣. جمع الآيات التي تتحدث عن الموضوع، إما بألفاظ صريحة مباشرة، أو بألفاظ قريبة منها، أو بألفاظ لها اتصال بالموضوع. فإذا أراد الباحث أن يبحث موضوع (الرسول في القرآن) مثلاً فعليه النظر في الآيات التي تتحدث عن الرسول والنبي والوحي والتبليغ والكتاب والدعوة، ويختار منها الآيات التي لها اتصال مباشر بالرسول.

٤. استخراج معاني الألفاظ السابقة التي اختارها من أمهات كتب اللغة (معجم مقاييس اللغة، ومفردات ألفاظ القرآن، وعمدة الحفاظ، ولسان العرب، والكليات). وبعد استخراج معانيها يقوم الباحث ببيان الصلة بين هذه الألفاظ ث يربط بين هذه الألفاظ وبين الموضوع القرآني المدروس.

٥. حصر الآيات التي استعملت المصطلحات الأساسية لموضوعه والألفاظ المقاربة لها، والاستعانة في ذلك بكتاب (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن)، وملاحظة الصيغ والاشتقاقات والتصريفات المختلفة للألفاظ التي لها صلة بالموضوع، واستخراج بعض الدلالات والإيحاءات من ذلك.

٦. تسجيل ما يدور حول الآيات التي استخلصها من: أسباب النزول، ونسخ، وقراءات صحيحة، وعموم وخصوص... إلخ.

٧. قراءة تفسير الآيات التي اختارها من أمهات كتب التفسير، كتفسير الطبري، والزمخشري ، والرازي، وابن كثير، وابن عاشور. وتسجيل ما ورد في تفسير تلك الآيات من أقوال مأثورة تتمثل في الأحاديث الصحيحة وأقوال الصحابة والتابعين وأعلام المفسرين.

٨. بيان الأبعاد المعاصرة للآيات، بالالتفات إلى ما تتضمنه من إشارات مرتبطة بحاجات ومشكلات العصر، وتنزيل هذه الآيات على حالة العصر، والنظر إلى قضايا ومشكلات العصر من خلال هذه الآيات.

٩. استخلاص الدلالات والعبر واللطائف من الآيات المجموعة، بذكر الدلالة المستخرجة، وبيان موطن ووجه الاستدلال، والتركيز على الدلالات ذات البعد الاجتماعي والإنساني المعاصر.

١٠. الاطلاع على الدراسات والأبحاث القرآنية الخاصة المعاصرة التي لها صلة بموضوعه القرآني، ومعرفة مدى ما يستفيده في بحثه منها.

بعد هذه الخطوات العشر تكون المادة التفسيرية قد تجمعت لدى الباحث، وتأتي الآن مرحلة التبويب والترتيب والصياغة، وهي الخطوات التي سبق ذكرها في المصطلح القرآني.

ضوابط الموضوع القرآني

ليس كل ما ورد في القرآن الكريم من قضايا يصلح للكتابة فيه موضوعاً قرآنياً، بل لابد من توافر صفات معينة لكي نطلق على القضية أنها موضوع قرآني، ثم الكتابة فيه،

ولعل من أهم الصفات أو الشروط للموضوع القرآني ما يأتي: ١. أن يرد ذكره في القرآن الكريم في أكثر من سورة. ٢. أن يتناوله القرآن بأكثر من أسلوب. ٣. أن تكون للقضية أبعاد ومجالات متعددة. وفيما يأتي بيان هذه الضوابط:

أولاً: أن يرد ذكره في القرآن الكريم في أكثر من سورة: ترد بعض القضايا في القرآن الكريم مرة واحدة وفي سورة واحدة، مثل قضية الرهن في قوله تعالى: ﴿وإن كنتم سفراً ولم تجدوا كاتباً فرهان قبوضة﴾ [البقرة: ٢٨٣]. فقضية الرهن للتوثيق لا يمكن أن يكتب فيه موضوع قرآنياً.

ثانياً: أن يتناوله القرآن بأكثر من أسلوب: إن الموضوعات القرآنية تتنوع الأساليب القرآنية في تناولها، فمن أسلوب الأمر الصريح أو النهي الصريح عن ضده أو الثناء على القائمين به، أو ذم التخلفين عنه أو ذكر ثواب المتمثلين لهداياته أو ذكر عقوبة الناكلين عنه، وذلك كالصلاة والزكاة والجهاد وغيرها...

ثالثاً: أن يكون للموضوع مجالات متعددة: فهناك مثلاً المجال النفسي التربوي، والمجال الاجتماعي، والمجال العلمي، والسياسي، والاقتصادي... وهناك الآثار الدنيوية بشكل عام، والآثار الأخروية، وكلما كثرت المجالات يكون الموضوع أوسع وأشمل وأحرى أن يكتب فيه.

الخطوات المرحلية للسير مع السورة القرآنية

فيما يأتي الخطوات المرحلية لدراسة السورة دراسة موضوعية:

١. زمان ومكان نزول السورة، وهل هي مكية أو مدنية، وهل كلها مكي أو مدني؟ ذكر اسم السورة التوقيفي، وإذا كان لها أكثر من اسم توقيفي يذكرها، ويبين حكمة تسميتها بذلك الاسم أو تلك الأسماء، ويلاحظ الصلة بين اسمها التوقيفي وبين موضوعها العام. ومن أهم الكتب التي عُنيت بذلك:

أ. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لبرهان الدين البقاعي.

ب. التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور.

٢. تحديد فيها آيات مكية ضمن مجملها المدني أو بالعكس؟ ومحاولة تعليل ذلك.

٣. بيان جو نزول السورة، سواء كانت مكية أم مدنية، وهل نزلت السورة في المرحلة المتقدمة أو المتوسطة أو المتأخرة من مرحلة الدعوة الإسلامية. ويستفاد في هذه النقطة من كتاب (في ظلال القرآن) لسيد قطب؛ إذ قدَّم للسور المفسَّرة بمقدمة تعريفية لكل منها.

٤. تحديد أهداف السورة الأساسية ومقاصدها الرئيسية، واستخراج هذه الأهداف والمقاصد من خلال القراءة الواعية المتدبرة لآيات السورة عدة مرات، ويستدل على كل هدف يسجله بمجموعة من آيات السورة.

ويستعين في هذه الخطوة بكتاب (نظم الدرر)، (التحرير والتنوير)، و(مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي)، و(بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز).

٥. التعرف على شخصية السورة وموضوعها الرئيس، ثم التعرف على محاور السورة وخطوطها الرئيسية، وربط هذه المحاور والخطوط مع عمود السورة، والاستشهاد على ذلك بآيات السورة. ويستعين في ذلك بكلام سيد قطب في تعريفه بالسور.

٦. ربط السورة بما قبلها من السور حسب ترتيب المصحف، من حيث التناسب في الموضوع العام لكل منهما، وتسجيل مظاهر هذا الاتصال. ويستعان في ذلك بكتاب (نظم الدرر).

٧. تقسيم السورة الطويلة والمتوسطة إلى أقسام، وبيان مقدمة السورة وأقسامها وخاتمتها، وتوزيع آياتها على تلك الأقسام، وإن لم يتيسر تقسيمها على أقسام فيجب تقسيمها على وحدات أساسية وذكر موضوع كل وحدة وآياتها، وبيان الصلة بين تلك الوحدات.

٨. تقسيم الوحدة إلى دروس موضوعية، وذكر آيات وموضوع كل درس، ثم بيان الصلة بين دروس الوحدة، بحيث تتكامل الدروس على تقرير موضوع الوحدة، وتتكامل وحدات السورة على تقرير موضوع السورة وتحقيق أهدافها.

ويمكن أن يستعان في ذلك بتقسيم سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن) للسور؛ إذ قسم كل سورة إلى وحدات ذاكراً موضوع وآيات كل وحدة، ثم يقسم الوحدة إلى دروس.

٩. استخلاص أهم حقائق السورة والدلالات التي تقررها، والإشارة إلى أبعاد السورة الواقعية وكيفية معالجتها لمشكلات الإنسان المعاصر.

١٠. الاطلاع على تفسير السورة في أمهات كتب التفسير (تفسير الطبري، والزمخشري، والرازي، وابن كثير، وابن عاشور) لمعرفة تفسيرها التحليلي.

بعد ذلك تأتي مرحلة الترتيب والتبويب والصياغة بالخطوات التي سبق ذكرها في المصطلح.

تقسم دراسة السورة على الأقسام الآتية:

أولاً: بين يدي السورة: تذكر في هذه المقدمة الأمور الآتية:

أ. اسم السورة أو أسماؤها إن كان لها أكثر من اسم.

ب. فضائل السورة إن وجدت.

ت. مكية السورة أو مدنيتها.

ث. عدد آيات السورة والاختلاف بين القراء في العد وسببه.

ج. محور السورة (المحور هو: الأمر الجامع الذي يجمع موضوعات السورة وجزئياتها في نسق واحد).

ح. المناسبات في السورة، وأهمها الأنواع الستة من المناسبات مع مراعاة عدم التكلف:

١. المناسبات بين اسم السورة ومحورها.

٢. المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها.

٣. المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها.

٤. المناسبة بين مقاطع السورة ومحورها.

٥. المناسبة بين مقاطع السورة بعضها مع بعض.

٦. المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها.

وتذكر المناسبة بين كل مقطع والمحور في نهاية كل مقطع أثناء تفسير السورة، وإن أراد الباحث أن يتعرض للمناسبة بين المقطع وبين المقطع السابق له فمكان ذلك بداية كل مقطع.

ثانياً: التفسير الإجمالي للمقطع: يفسر كل مقطع بعد وضع عنوان له تفسيراً إجمالياً يراعى فيه الأسلوب الأمثل في تفسير القرآن، وهو:

أ. تفسير القرآن بالقرآن والإشارة إلى الآيات التي لها علاقة مباشرة بالمقطع.

ب. تفسير المقطع بالأحاديث النبوية الشريفة التي تلقي ضوءاً على ذلك.

ت. في القضايا العقائدية يلتزم رأي السلف.

ث. في القضايا الفقهية يكتفي بالرأي الراجح الذي يراه الباحث مع ذكر الأدلة التي جعلته يرجح هذا القول دون سواه.

ج. تجتنب القضايا اللغوية أو البلاغية، وإن كان هناك ضرورة لذكر بعضها لارتباطها الوثيق بالمعنى فيكون ذلك في الهامش، وكذلك القراءات القرآنية المتواترة التي لها تأثير في توجيه معنى الآيات.

ح. عند تكرار الموضوعات في بعض مقاطع السور كالقصص وغيرها يفسر المقطع في موضعه بما يتناسب مع محور السورة التي ذكر فيها وجو السورة العام من الإيجاز أو الإطناب.

خ. الربط بين هدايات الآيات وواقع الأمة، والرد على الشبهات التي تثار حول القرآن الكريم والسنة النبوية، وعظمة التشريعات الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان، كل ذلك عند ورود مناسباتها في تفسير الآيات المتعلقة بذلك.

د. الاقتصار على الحقائق العلمية عند تفسير الآيات الكونية وتجتنب النظريات العلمية.

ثالثاً: الهدايات المستنبطة من المقطع، وتشمل:

أ. القضايا العقدية.

ب. الأحكام الشرعية.

ت. الأخلاق الإسلامية والآداب الشرعية.

ث. الجوانب التربوية.

رابعاً: مبادئ وقواعد عامة:

أ. توضع الآية بين قوسين مزهرين ثم يذكر اسم السورة ورقم الآية المستشهد بها بعد الآية مباشرة وليس في الحاشية.

ب. تخريج الحديث بذكر اسم المصدر ورقم الحديث.

ت. الالتزام بالأحاديث الصحيحة والحسنة في التفسير وأسباب النزول وغيرها.

ث. توثيق الأقوال والمنقولات بالإشارة إلى اسم الكتاب ثم المؤلف ثم الجزء والصفحة، أما بقية معلومات الكتاب فتترك إلى فهرس المراجع الصادر.

ج. ترقيم الحواشي يكون بأرقام متسلسلة لكل صفحة على حدة.

ح. الالتزام الكامل بالفواصل والنقط وإشارات الاستفهام والتعجب وسائر علامات الترقيم.

إذا كان للسورة سبب نزول واحد يذكر في فقرة (بين يدي السورة)، أما إذا وجد أكثر من سبب نزول لآيات متعددة في السورة فيشار إليها في فقرة بين يدي السورة، وتترك تفاصيلها إلى المقاطع الخاصة.